نقد متسرع قبل المتابعة!

لفت الانتباه إلى شخصيات محددة لإثارة نعرات وكراهية

الحلبي في «باب الحارة» متحول وشخصيته قد تكون فاعلة ولا يحكم عليها الآن

مصطفى المصطفى في شخصية الشرطي الحلبي الطيب في مسلسل «باب الحارة ٨»

| عامر فؤاد عامر

تُبادر الدراما السوريّة على الرغم من كلّ المعوّقات بتقديم مجموعة من الجهود كما كلّ عام، وهي إشارة تحمل الخير في أي بعد أردناه، ولاسيما أن التسويق يحتاج إلى جهود، ودراسة، وتواصل، لا يمكن لنا إغفال درجةً التعب فيها، هذا من ناحية، أمّا من الناحية الأخرى فهي دلالة على رغبة السوري في المحافظة على وجوده ضمن دائرة السوق، وضمن المنافسة بين الدرامات العربيّة بشكل أو بآخر، وبدلالة أبعد يمكن الاستنتاج بأن هناك رغبة لدى السوري كفرد ومجموعة في المقاومة، والبقاء على خريطة المستقبل، والحفاظ على الهويّة.

تعجّب واستفهام

لكن أن تبدأ المقالات الصحفيّة بالظهور منذ الأيام الأولى للمتابعة بكثير من الآراء السلبيّة حول أكثر من ٣٠ عملاً سورياً! فهنا لا بدّ من التوقف عند هذه الحالة، والتمحيص في أسبابها أكثر، والتي لا يمكن الإشارة إليها إلا لضررها وتمكنها من صاحب القلم بالإساءة إليه أكثر!

تسرّع

فبعد مرور ٥ سنوات على الأزمة في سورية وأكثر، وعلى الرغم من كلّ المضايقات في حجب المسلسل السوري من الظهور، بقيت كميّة الإنتاج تقارب ما كان يُنتج قبل بدء هذه الأزمة، وهذا بحدّ ذاته جهد لا يمكن نفيه، ولا التغاضي عنه أو تجاوزه. علينا أن نكون أكثر موضوعيّة في طرح الحالة النقديّة، فالرؤية ما زالت غير مكتملة ليذهب فلان أو فلان بنسج أفكار نقده بصورة تثير الامتعاض عن ذلك المسلسل أو غيره، فما الهدف من هذا التسرّع؟ وما الجني الذي سيقدّمه للقارئ؟ هل يسعى لتنفيره مثلاً من متابعة أعمال الدراما السورية لهذا الموسم! أين النبل في سوق هذا الانتقاد؟

بخس الجهود!

يقدّم الممثل والمخرج والفني والتقني... إلخ جهوداً لا تقدّر بثمن لصناعة ٣٠ حلقة أو أكثر، يمكن للمتلقي أن يستمتع بها خلال شهر رمضان بكلّ بساطة أمام مائدة إفطاره، فهل تُرمى الجهود بكلام عبثي أو باستسهال في تقييم كامل هذه الجهود. المعادلة غير منطقيّة أبداً فتعب شهرين أو ثلاثة، ومنها ما وصل الأربعة، مابين تحضير وتصوير ومونتاج وعمليات فنيّة وتسويق وغيرها، لا يمكن قذفه بكلمة واحدة من كلمات صاحب القلم اللاذع، وبدعوة منه لعدم متابعة الأعمال، وكفى. وهذا ما لاحظناه مع كلّ أسف من أقلام سوريّة تكتب في صحف خارج سورية.

دعوة من صحف عربيّة

من جهة أخرى لا بدّ من لفت النظر إلى أن صحفاً عربيّة عملت على إلقاء الضوء بما يليق على أعمال الدراما السوريّة، ولدى البحث عبر الإنترنت سنجد ما يليق من كلامها في تقدير، واحترام هذه الأعمال، وهذا يبقى في ميزان المنطق، فالبداية هي دعوة للمتابعة، وبعد مرور ٣٠ يوماً نتمكن عندها من تقديم مقالات ناقدة، وهادفة، تلقي الضوء على الجانبين الإيجابي والسلبي معاً.

باب الحارة و«حلب» مثال

يتناسب الحديث لذكر بعض الأمثلة، فمسلسل «باب الحارة» في جزئه الجديد، يمكن التفكير بنوع من الإيجابيّة فيه، مع ظهور عدم رضا مسبق من الأغلبية المثقفة منه، فهذا العمل الذي يُعرض على إحدى المحطات العربيّة التي صنّفت عدداً من الذين مثّلوا فيه بأنّهم على القائمة السوداء سابقاً، ومنهم الفنانة السوداء «سلاف فواخرجي»، ولولا ملاحظة الجهد فيه وتقديره لما اشترت هذه المحطة مثلاً حقوق عرضه خلال شهر رمضان وما بعده بمدّة، وهنا لا أدافع عن هذا المسلسل بل أسلّط ضوءاً لنوسّع طريقة تفكيرنا بالعمل قبل تناوله كمادّة نقديّة سهلة الكتابة!

وقد وقف عدد مع شخصية الشرطي الطيب، الحلبي اللهجة والمنطقة، وعدوا أن هذه الشخصية بطيبتها إساءة للشخصية الحلبية، ولكن هل يجوز أن نحكم على عدد من الحلقات؟ ألا يمكن أن يكون هناك تحول كما هي عادة الملا من أعمى إلى جاسوس؟!. فلا داعي لإثارة حفيظة منطقة أو فئة لمجرد عدد من المشاهد، ولننتظر لأن الشخصية التي يقدمها الشرطي الحلبي غنية على ما يبدو!

لفتة

نبحث في أسماء الأعمال فنلاحظ كثيراً من المميّزات فيها فبعضها اعتمد على روايات أحبّها القارئ مثل مسلسل «أيام لا تُنسى» للمخرج «أيمن زيدان» الذي اعتمد على رواية «ألف شمس مشرقة» للروائي الأفغاني «خالد الحسيني»، وكذلك مسلسل «الندم» للمخرج «الليث حجو» الذي نقرأ في بدايته أنه اعتمد على رواية «عتبة الألم» للكاتب «حسن سامي يوسف»، وأيضاً لا بدّ من الإشارة إلى أن بعض الأعمال حملت منذ بدايتها صبغة جديدة في التشويق والحسّ البوليسي والتحقيقي كما في عملي «مذنبون أبرياء»، و«دومينو»، وعموماً هي لفتة لا أكثر لمتابعة الأعمال الدراميّة بهدوء وترو، ولكي تكون الحالة الناقدة سليمة، وصحيّة، ومفيدة وفي زمانها الصحيح، فهناك المزيد من الميّزات التي تستحق من المشاهد المتابعة، إضافة إلى أن المتابعة ستجعلنا أكثر دراية ومعرفة بالنقاط السلبية التي وقعت بها الدراما في هذا الموسم.

الفيسبوك مشارك

يسمح الفيسبوك بتداول مجموعة من الأفكار تدل على شوق المتلقي في متابعة المسلسلات الدراميّة ومحبّة أبطالها، وعدم محبّة بعضهم، وإبداء الآراء الشخصيّة بين هنا وهناك، وهذه الحالة دليل على فاعليّة الدراما وتأثيرها في الشارع لكون المجتمع الفيسبوكي يمثّل عينة لا بأس بها من هذا المجتمع، وهناك بعض الفنانين عبّروا عن عدم ارتياحهم للتسرع في الحكم على الأعمال الدراميّة بل سارعوا في نشر آرائهم عبر صفحاتهم في مواقع التواصل الاجتماعي ومنهم الفنانة «شكران مرتجى» وغيرها، على حين شارك قسم آخر من الفنانين في دعوة أصدقائهم لمتابعة عمل معيّن لكونه يستحق المتابعة أكثر من غيره، كالفنانة «جيهان عبد العظيم»، وهذا الحراك إن دلّ على شيء فهو يدل على صحة الحالة وحيويتها، فما زالت المسلسلات السوريّة تقدّم الجديد وتشغل بال المتابع سواء كان من صناعها أم ضمن فلك المشاهدة.

«أيام لا تنسى»... صورة جماليّة متجددة بعين «أيمن زيدان»

| الوطن

يقدّم مسلسل «أيام لا تنسى» للمخرج «أيمن زيدان» صورة جميلة تعتمد على المعطى البصري، مستنداً لطبيعة بيئة ريف طرطوس السوريّة التي جاء تصوير أغلبية المشاهد فيها، ضمن مرحلة زمنيّة تمتد بين عامي ١٩٩٠ – ٢٠١٦ وقد اجتهد كادر العمل في فترة تقارب ٣ أشهر ليجسّدوا أحداث قصّة نسجتها الكاتبة «فايزة علي» اعتماداً على رواية «ألف شمس مشرقة» لمؤلفها «خالد الحسيني».

ينسج مخرج العمل «أيمن زيدان» مشاهده في حبكة عاطفيّة لافتة للانتباه، فثلاث بنات «دينا»، و«مريم»، و«ليلى» يعشن حياتهنّ ولكلّ منهن تجربتها الخاصّة في الحب، والفرح، والحزن، ومشاعر كثيرة وتجارب تحمل التحدي، وتتقاطع هذه التجارب مع خطوط الكثير من الأشخاص الذين أوجدتهم الحياة، يُسلط المخرج الضوء عليهم ليكون هناك المزيد من الأحداث الدراميّة التي تأخذ بالعمل في اتجاه أحداث مشوّقة فيها الكثير من العناية بالتفاصيل والتي تعتني بالجمال والعاطفة وفي مزيد من مشاهدها باتجاه الشاعريّة، وهذا النمط الذي كثيراً ما عرفناه في أسلوب الفنان «أيمن زيدان» الإخراجي. إذ تعدّ هذه التجربة الإخراجيّة هي الرابعة في رصيد الفنان «أيمن زيدان» بعد مسلسلات «ليل المسافرين» ٢٠٠٠، و«طيور الشوك» ٢٠٠٤، و«ملح الحياة» ٢٠١١.

أنتج العمل كلّ من مؤسسة «سيريانا» للإنتاج والتوزيع الفني وشركة «أي بي سي» المُنفذة لعمليات الإنتاج الفنيّ بإشراف كلّ من «عدنان حمزة» و«ديانا جبور»، والعمل يُعرض على قناة «سورية دراما»، وقناة تلاقي»، ويضمّ العمل نخبة من نجوم الدراما: «سوزان نجم الدين، وديمة قندلفت، ووائل رمضان، ومحمد حداقي، وحلا رجب، ورنا كرم، ومحمد قنوع، وروبين عيسى، ومصطفى سعد الدين، وصباح الجزائري، وعبد الهادي الصباغ، وزهير عبد الكريم، ورضوان عقيلي، وشادي زيدان، وعبير شمس الدين، وروزينا لاذقاني، ووﻻء عزام، ولوريس قزق، وكرم الشعراني، ومروان أبو شاهين، وعلي الإبراهيم، ومازن الجبّة، وعروة العربي، وحسن دوبا، وفادي الحموي، وآخرين».

وكما اعتدنا من الفنان «سمير كويفاتي» بموسيقاه العاطفيّة كانت الموسيقا التصويريّة منسجمةً مع الصورة الكليّة للمسلسل، كما كانت أغنية شارة المقدّمة التي غنّتها الفنانة «ميادة بسيليس» وهي من كلمات الفنان «أيمن زيدان» وألحان «كويفاتي» فجاءت عنصراً جاذباً للجوانب الجماليّة والعناصر الناجحة، في مسلسل «أيام لا تنسى».

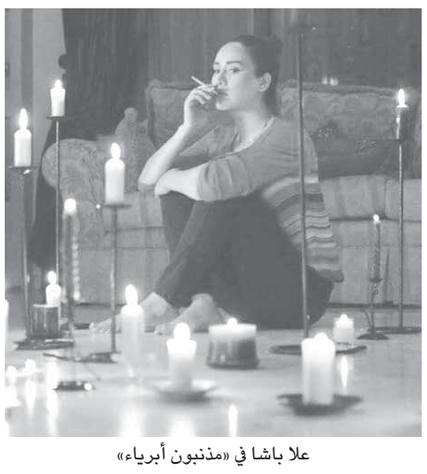
علا باشا في «مذنبون أبرياء»

محمود نصر ورنا كرم وباسم ياخور في «الندم»

بسام كوسا لاعب «دومينو»

حكواتي بن حكواتي يحكي لـ«الوطن»:

«أبو شادي الحكواتي» تجده اليوم على صفحة في كتاب تعليم اللغة الإنكليزية في المدارس

| سوسن صيداوي

يُحكى عبر الأزمان أنه كان هناك رجل يدعى الحكواتي، وكان هذا الحكواتي ممتهناً سرد القصص سواء في المنازل أم المحال أو المقاهي وحتى في الطرقات، شخصيته القوية وحضوره اللافت بنبرة صوته الجادة ومخارج حروفه الواضحة، مع تعبيره المنطوي على مشاعر معبرة لما يختلج نفسه من أحاسيس، وما يدور في باله من أفكار، كانت كلها كجرعة سحرية تستحوذ على كل من هو في محيطه المكاني، لأنها كلّها مع حركاته الجسدية ومع نظراته كانت تأسرهم وتقيّدهم بحيث يصعب عليهم الانصراف بل على العكس يكون من اللذة والتشويق متابعة أحداث قصصه ولو طال سردها لأشهر تجمع سنين.

هذا الحكواتي أو الرواي أو القصّاص أو القاص، وقفت بوجه مهنته التكنولوجيا وتحدّته، وما كان منها إلا أنها انتصرت عليه، بداية بالمذياع ثم التلفزيون، ومرورا بالمسرح والسينما، وانتهاء اليوم بالانترنت، صحيح أن المقاهي تملأ الأماكن وهي متنوعة بعروضها المشجعة لروادها، إلا أنها رغم مساحتها فلقد ضاقت على الحكواتي الذي أصبح «دقة قديمة »، وبطبيعة الحال أصبح الصمت من خيّم كاتما على أنفاس الكلمات، وبالتالي أصبحت قلة قليلة تتبادل الهرج والمرج في أثناء لعب ورق الشدة والطاولة وغيرها، بل اكتفت بالانترنت والتصفح والتواصل عبر مواقعها، وهذا الأمر الأخير لا يعنينا في الوقت الحالي، بل ما نحن معنيون به هو «الحكواتي» ذات نفسه الذي أصبح مغيبا بشكل تام عن المقاهي، وخصوصا في هذه الفترة الزمنية التي يحضرها شهر رمضان الذي جرت العادة فيه أن يكون «الحكواتي» طقسا من أجمل طقوسه التي تجمع الأصدقاء والأقارب في المقاهي للاستمتاع بما يبثّه من نفحة القيم والفضائل التي تميز أبطال حكاياته وقصصه ورواياته، اليوم نحن أمام حكواتي وحيد وهو ابن حكواتي اشتهر في سورية وفي لقائه بصحيفة «الوطن» قصّ لنا ما آلت إليه مهنته «الحكواتي»، شادي رشيد الحلاق ابن حكواتي الشام يقول «رشيد حلاق سمّى نفسه» حكواتي الشام» نسبة إلى الشام الكبرى والتي هي فلسطين ولبنان والأردن وسورية، وكان توفي آخر حكواتي عام ١٩٧٠، وفي عام ١٩٩٠، أعاد والدي مهنة الحكواتي إلى دمشق وكان دائماً يروي حكاياته في قهوة النوفرة، بعدها أصبح يشارك في مهرجانات عربية منها مهرجان جرجش ومهرجان مسرح المدينة، وكان «الحكواتي» بالنسبة لأبي مهنة بحد ذاتها، وعلى الرغم من أنه كان يملك محلا تجاريا، إلا أنه ترك التجارة وعمله والتزم بعمل «الحكواتي»، وكان يقول للصحفيين إنه من شدة حبه لهذه المهنة وقبل أن يبدأ برواية الحكاية، كان يسمع دقة قلبه بأذنه اليمنى».

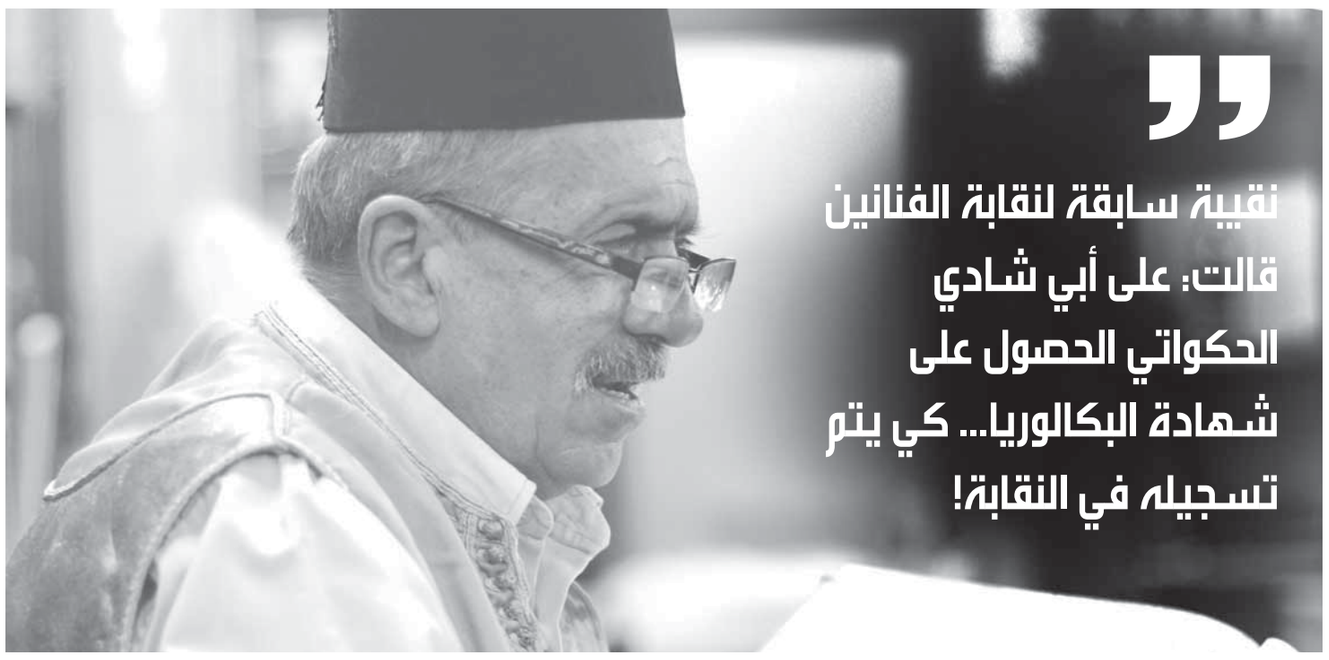

قصص تروى لسنين

اشتهرت دمشق بمقهى النوفرة وبالحكواتي «أبو شادي» الذي كان يقص على رواد المقهى عدة قصص وروايات وحكايات منها الظاهر بيبرس، ألف ليلة وليلة، وعنترة ابن شداد وغيرها الكثير، والمشوّق أن رواية هذه القصص كانت تطول لسنة وأكثر ويأتي رواد المقهى كل يوم كي يسمعوها، وحتى الأجانب والسياح كانوا يدخلون مقهى النوفرة كي يسمعوا حكايات أبي شادي كما أوضح ابنه شادي «في بداية مشوار أبي، جمعت الكثير من كتب الحكواتية الموجودة في المقاهي في العديد من المحافظات، وكنت أشتري هذه الكتب وكان وقتها ثمنها زهيدا، وتمكّنت من جمع أكثر من ثمانية آلاف كتاب حكواتي، ولكن للأسف وبسبب من لا يقدّر قيمتها تمّ حرقها في ظل الأزمة، وبالنسبة للكتب التي جمعتها كان منها مخطوطات مكتوبة باليد، ومثلا قصة الملك الظاهر بيبرس، كانت مؤلفة من مئة وثمانين كتابا، وكل جزء بمئة صفحة، وكانت الحكاية حتى تنتهي تستغرق روايتها من أبي نحو سنة ونصف السنة، وأيضاً قصة عنترة مؤلفة من ثمانية مجلدات كل مجلد أربعة أقسام وكانت تستغرق روايتها في المقهى نحو سنة ونصف السنة، وما يُميّز الحكايات التي كان يرويها والدي بأن بعضها كان باللغة العامية، وبعضها كان بالفصحى، وبعضها الآخر كان مصوغاً باللهجات المحلية الخاصة بكل منطقة وبكل محافظة، ومن القصص بلهجاتها التي تختلف باختلاف الأماكن وأيضاً باختلاف الزمن، والجميل أيضاً بأنه في الفترة التي كان أبي «أبو شادي الحكواتي» يحكي القصص في مقهى «النوفرة» أصبح هناك تواجد للنساء ثم أصبح هذا أمراً طبيعياً، وحتى السياح الأجانب كانوا يأتون إلى القهوة وكان يُخصص لهم مقطعاً صغيراً له بداية ونهاية بعكس القصص الأخرى التي كانت تطول لسنين».

حكواتي ع الموضة

«الحكواتي» شخصية وحيدة إلا أن كثيرين ممن قاموا بتجسيدها، وما يُميّز حكواتي القديم لباسه وعدة عناصر أخرى توثّق شخصيته بالتراث الشعبي، ولكن اليوم الحال مختلف، فحكواتي هذه الأيام فارغ الشكل والمضمون ورغم أن الكثير ممن يحاولون أن يكونوا «حكواتية هذا الزمان» ولكن وللأسف الشديد يظنون أن بارتدائهم للشروال سيكون هذا كافياً كي يكونوا «الحكواتي»، شادي الحلاق بالنسبة لأبي كان «الحكواتي» يمثّل التراث وبالتالي عليه حتى بلباسه أن يمثّل هذه الشخصية وذلك من خلال اللبس الدمشقي، وهذا اللبس القديم كان مكلفاً جداً، فمثلا كان يرتدي فوق ملابسه جاكيتاً يدعى «دامر»، وعندما أراد أن يحضر واحداً جديداً، قلت له ببساطة أنا سأحضر لك واحدا، لكنه شرح لي بأن الـ«الدامر» قماشه يصنع فقط في معرة النعمان، ولما سألته إن كان يُصنع بمكان آخر، جاء جوابه بالنفي، وحتى الطربوش كان طربوش قش، واليوم لا أحد يصنع طربوشاً من هذه النوعية لأنه غال جداً، وبالنسبة للعصاة التي كان يمسكها، والمسابح والساعة التي كانت تعلّق بالصدر... كلها غالية، وتحمل طابعاً تراثياً يعكس شخصية الحكواتي وأصالته، ترك والدي من ذكريات مهنته ثلاثة طقوم كاملة لملابس عربية دمشقية والتي هي ثروة... لكنها تحتاج من يقدرها».

الحكواتي جزء من التراث الشعبي

حظيت مهنة الحكواتي والتي عرفتها بلاد الشام على شعبية واسعة الأمر الذي جعلها جزءاً من التراث الشعبي في هذه البلاد، ولكن الحال اليوم تغير وبالرغم من أنه وللأسف الشديد تمّ تسجيل «الحكواتي» على قائمة الحماية المستعجلة لحماية الظل باللجنة الوطنية السورية، إلا أن «الحكواتي» يتخبط بين عدم الاهتمام والتقدير وقلة الأجور هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعاني عدم المرجعية، «شادي الحلاق» الأمر محبط جداً ويبعث في النفس حزناً عميقاً، فعلى الرغم من أنه تمّ تسجيل «الحكواتي» على قائمة الحماية المستعجلة لحماية الظل باللجنة الوطنية السورية وبمشروع في اليونيسكو من أجل حمايتهم من الاندثار، إلا أنه لا يوجد مرجعية أو جهة تهتم بالحكواتي، وحتى إنني في مرة كنت ذهبت كي أسجل أبي في نقابة الفنانين، فكان الجواب بأن على أبي الحصول على شهادة البكالوريا كي يتم تسجيله في النقابة».

في الختام... كلمة

على الرغم من الأهمية والتلويح بضرورة الاهتمام، إلا أن كل من هو معني بالاهتمام ذاته نجده في حقيقة الواقع مستسلماً خانعاً لا يقوم بشيء نافع يخدم الحالة، شادي حلاق «أتمنى أن أكمل مسيرة أبي وأن أكون أنا أيضاً حكواتياً، لأن أبي ركز واهتم جداً بي كي أكون حكواتياً، فكان يدربني على القراءة ويصحح لي النطق، وصحيح أنني قلت له بأنني لا أريد أن أكون حكواتياً إلا أنني من غير الشعور أجد نفسي حكواتياً، وفي مرة قال لي: لو أنك لا تحب هذه المهنة لما جمعت كل تلك الكتب والحكايات، وبالطبع حاولت أن أكون حكواتياً ففي عام ١٩٩١ جربت مرتين وبعدها رفضت الاستمرار ثم اتجهت في اتجاه آخر، والآن ما يعوق رغبتي قلة الاهتمام بهذه المهنة وشح مردودها، فأجرالحكواتي بسيط جداً، ولا يكفي للمواصلات، فكيف ستكون مهنة أعتاش منها أنا وعائلتي».